

غاوي تمثيل يحرق التقمص من المدرسية والعضلات المفتولة

إبراهيم نصر

الوحش المظلوم فنيا أمام الكاميرا غير الخفية



● الجوكر أدرك حقيقة الفن مبكرا كتجسيد بريء للنص الدرامي وتشخيص طبيعي للأفكار والصراعات مع الإمساك بتلابيب الشخصية وإبراز خباياها ومكنونها النفسي بشكل مقنع.



● بداياته تشبه إلى حد بعيد بدايات التلقائي المصري الراحل أحمد زكي، الذي دأب على استعراض ملكاته بتقليد الشخصيات المتنوعة، والمدمش أن أفضل أدوار نصر السينمائية قد جاءت في أفلام لعب بطولتها زكي.

المصرية. كذلك الحال في التلفزيون أيضا، حيث استفاد المخرج رؤوف عبدالعزيز من خبرات نصر الطويلة في مسلسل "فوق السحاب" الذي عُرض العام قبل الماضي، وقدم فيه نصر شخصية صعبة اقتضت الحكمة والمهارة والتحكم في كل كلمة وحركة بحسب، وهي شخصية "الدب"، والد بطل المسلسل هاني سلامة، وجاء أدائه الكوميدي نابعا من الداخل، وغنيا بالتفاصيل الدقيقة التي عبّر عنها بالسهل والمتعمق لإبراز خفة ظل الشخصية وعمقها الإنساني في الوقت نفسه.

الفن النظيف

من خصائص أدوار نصر أيضا انتمائها إلى ما يسمى "الفن النظيف"، بمعنى الحرص على عدم الإسفاف والإبتذال والإتمهان، وفق شروط الفن ومعاييره، وتطبيق المنظومة المجتمعية والأخلاقية، بما في ذلك برنامج "الكاميرا الخفية"، على الرغم من اعتماده على المقالق والإيقاع بالضحية. ولم يكن ذلك عن صدفة، وإنما عن قناعة كاملة من الفنان، الذي تحدث في الكثير من حواراته عن الإشعاع التلفزيوني للفن، ودور الفن في رصد قضايا المجتمع والسعي إلى معالجتها بعين ذات بصيرة وبصيرة.

كما أشار الفنان إلى استيائه من برامج المقالق الحالية، مغربا عن صجره من أي فن يقدم الشتايم أو يحرض على العنف، مهما بلغت درجة جودته من حيث الإبهار والخدع البصرية والتقنيات المتقوفة. الحرية في مفهوم نصر قرينة المسؤولية، وهذه المسؤولية ذات جناحين: الجراح فني: بمعنى المصادقية والإخلاص والبساطة والطراجة والإدهاش والروح الإنسانية، وجناح اجتماعي: بمعنى الرسالة والالتزام، حتى وإن أدى ذلك إلى قدر من التحفظ المغامرة نفسها لدى نصر في داخلها وهي وانضباط، ولذلك فإنه لم يتحسس إلى التجديد في الأعمال الفنية، القائمة على الجراحة في الموضوعات والتناول واستخدام الفاظ يراها البعض خارجة، بل إنه دعا إلى تفعيل الدور الرقابي وتغليب القوانين المنوط بها تنقية المصنفات ومحاسبة صنّاعها، خصوصا في العروض التلفزيونية التي تدخل البيوت، ويشاهدها الصغار والكبار على السواء.

وقد وعى نصر مقولة سعد أردش عميد معهد الفنون المسرحية له "أنت فنان كبير موهوب، ولا تحتاج إلى الدراسة"، ومقولة أحمد خالد توفيق عنه "إبراهيم نصر فنان بارع يملك مثل وزنه موهبة، وملكته كفن بارع في السينما والمسرح والتلفزيون هي القيمة الأخصب في تجربته الزاخمة الممتدة لنصف قرن. وحتى في حلقات الكاميرا الخفية ذاتها، فإن سر النجاح الحقيقي لم يكن "المقلب" بحد ذاته أو محاولة خداع الضيوف ومباغتتهم بموقف طريف مثير للسخرية،

"لولو" في "امرأة واحدة لا تكفي" للمخرجة إيناس الدغدي، وأدواره الكوميدية المرحية مثل "التمرجي" أو مشرف التمريض في مسرحية "أهلا يا دكتور" والبطل الرياضي الغيور على زوجته في فيلم "السنات" والمقاب، فإنها كذلك مشحونة بالحس المجتمعي، فهو له عينان؛ إحداهما على الشخصية، والأخرى على الشارع، فالفن وإن كان هدفه الإمتاع والترفيه، يظل مرآة للمجتمع، وخارطة للمكان، وبوصلة للزمان، وتجسيدا مبسطا شيقا لأحداث الواقع.

لم يستشعر المشاهد أن ضخامة جسد نصر قد حالت دون مرونته وانسيابيته وحيويته، وقدرته على التنقل بين الشخصيات المختلفة، وإن كانت هيئته الخارجية دفعت بعض المخرجين النمطيين إلى تكرار بعض أدواره في قالب البطل الرياضي أو الشخص الذي يعتمد على قوته، على أن المخرج المتميز كان يلتقط ما وراء الشكل من مغزى، كما فعل شريف عرفة مثلا في فيلم "إكس لارج" عام 2011، بإسناد دور الخال عزمي إلى نصر، وهو الشخص ممثلي الوزن الذي يشارك ابن أخته، الفنان أحمد حلمي، مأساة البدانة وصعوبة الحركة.

لكنه يمتلك من الخبرات الطويلة ما يجعله ينوعا بقبض بالحبة والدفء وإسداء النصيحة إلى الشاب من أجل إخراجها من وحدته وعزله، وهو دور بالغ الرهافة والحساسية تطلب استعدادا فنيا عاليا، وقدرة على الإضحك والإبكاء في أن من خلال أداء موضوعي متزن غير مبالغ فيه، وقد نال عنه الفنان بالفعل جائزة خاصة من مهرجان جمعية الفيلم

المخرج شريف عرفة يعد من النادرين الذين التقطوا بذكاء، إمكانية توظيف الجسد الضخم لنصر في فيلم «إكس لارج»، بإسناد دور الخال عزمي إليه، وهو الشخص ممثلي الوزن الذي يشارك ابن أخته، الفنان أحمد حلمي، مأساة البدانة وصعوبة الحركة

السينما "حد السيف"، "قهوة المواردي"، "شمس الزناتي"، "إكس لارج"، "الكهف"، وفي المسرح "أهلا يا دكتور"، "عائلة عصرية جدا"، "مطلوب مجرمين فورا"، وفي التلفزيون "الزمن المر"، "على باب زويلة"، "رافت الهجان"، "فوق السحاب"، وغيرها. ومن الأسور المضيئة في هذه الأدوار التي امتطى نصر صهونها برشاقة، أنه عادة متفوق بشكل فردي، فهو بحد ذاته "فرجة" تستحق التأمل، وكذلك فإنه دائما مخلص حد الخناق لحقيقة فن التمثيل، من حيث إنه تجسيد حي للنص الدرامي وتشخيص طبيعي نابض للأفكار والصراعات، مع الإمساك بتلابيب الشخصية وإبراز كل تفاصيلها وخباياها ومكنونها النفسي بشكل مقنع، كما لو أنها تعيش في الواقع ويعرفها المتفرجون.

الدقة والمصادقية

المحاكاة الحرفية التي تتمتع بها هي التي أنجحت حلقات الكاميرا الخفية وحبت صياغة القلب المدبر وحولت زكية زكريا إلى امرأة مصرية من لحم ودم، وهي التي مكنت نصر من تفعيل الشخصيات الشخصية التي لعبها في أعماله الدرامية على الأرض، فهي ذات مصادقية عالية لأنها تشبه الناس، وتحدث بالسننهم، وقد حرص الفنان على تقضي الدقة الفائقة في تجسيد ملامحها ورصد صفاتها وأبعادها المتباينة، مازجا بين تقصص القالب وقنص الداخل والاهتمام بكل الحركات والانفعالات والإيماءات وطريقة الكلام ودرجة الصوت.

كان "جعدي" في "شمس الزناتي" مع المخرج سمير سيف هو بالفعل ذلك العامل في ورشة الحدادة الذي انضم إلى فريق "السبعة الرائعين" بقيادة عادل إمام، وكان "الكابتن حسن" في "مستر كارتيه" مع المخرج محمد خان هو بالفعل المدرب الرياضي المحنك الذي في مقدوره صقل مهارات الشاب الطموح أحمد زكي.

البعد الاجتماعي في أدوار نصر هو الذي أكسبها دائما عمقا إضافيا، وجعلها قريبة من خلال الاستيعاب والهضم والتلقي من خلال الأداء السهل السلس، وحتى أدواره كمجرب مثل شخصية

وإنما تلك الطاقة التمثيلية العالية المتقدة لدى إبراهيم نصر، ونزوله إلى الشارع ومقابلته الجمهور وجها لوجه في الهواء الطلق، تمكن من تصير البرنامج العالمي الشهير بنكهة درامية تلائم الجمهور المحلي، بقدرته على السيطرة على المشهد واحتواء الفراغ تماما، خصوصا في تقمصه شخصية "زكية زكريا"، المرأة الشعبية "بنت البلد"، التي لا يملك أحد من الضيوف ولا من المشاهدين النور منها، مهما بدر منها من تصرفات عجائبية وأفعال مثيرة.

منذ بداياته الأولى، هضم نصر جيدا عصارة الفن، وتفهم جوهر التمثيل، فلم يستسهل الطريق مثلا معتمدا على مظهره الخارجي ومراهنا على الاستعراضية في الأداء والجسد القوي والعضلات المفتولة، لكنه قدم ذاته في بواكيره كمتقمص طفولي، وبياني طريقة فعل ما يجب، ببساطة، وبإي طريقة تقربه من هدفه البعيد، وإن كان عبر عمله كمتولوغست يقلد الفنانين الكبار، فمن خلال هذا التقليد صار بإمكانه الإفصاح عن قدراته كمتقمص فريد، من طراز فريغ، إلى أن حانت الفرصة الحقيقية في التمثيل.

هذه البداية تشبه إلى حد بعيد بدايات التلقائي المصري القدير أحمد زكي، الذي دأب على استعراض ملكاته بتقليد الشخصيات المتنوعة والفنانين المعروفين قبل أن توكل إليه أدوار تمثيلية تتجلى من خلالها موهبته الفذة في التقمص والأداء السهل المتنوع، والمدمش أن أفضل أدوار نصر السينمائية قد جاءت في أفلام لعب بطولتها زكي، منها "امرأة واحدة لا تكفي"، و"مستر كارتيه"، و"حسن اللول".

وقد كان نصر يعتبر أن زكي عبقريته وقاعدة أساسية من قواعد الفن الحديث لا يمكن أن تتكرر ولو بعد خمسمئة عام، مطلقا عليه "بلدوز التمثيل"، وقد استفاد إبراهيم نصر كثيرا من درس أحمد زكي، الفنان الأبرز الذي تمكن بالتلقائي في المقام الأول من التفوق على أعنى المدرسين والمنهجيين.

من الآداب إلى الفن

من خارج الفصل الأكاديمي المغلق، اتجه نصر، الوحش المظلوم فنيا أمام الكاميرا غير الخفية، من كلية الآداب التي تخرج منها في مطلع السبعينات من القرن الماضي، لينخرط في غمار الفن مباشرة، بقوة الدفع الذاتية وخبرات قليلة من المسرح التلاميذي والجامعي. على مدار حوالي خمسين عاما سطرت أدواره المركبة المتعددة علامات متميزة، خصوصا في الحقل السينمائي، وكان من الممكن استثمار فنياته الرفيعة على نحو أوسع كما وعمق كيف، لو أن المخرجين الذين تعامل معهم لم يحصروه أحيانا في قوالب ضيقة ومساحات مقيدة حدت من انطلاقاته وإرهاصاته.

لعب ابن حي شبرا العديد من الأدوار اللافتة في أعمال كثيرة، منها في

شريف الشافعي
كاتب مصري

يتمنى كل ممثل محترف أن يقال عنه إنه فطري أو تلقائي أو غاوي تمثيل، فهذا يعني أنه لم يأخذ من الصنعة مساحيقها، ولم تجربته المعرفة والأدوات والتكنيك إلى التكلف والمبالغة، التعمد والقصدية ومراعاة القواعد من لوازم أي فن منضبط بالتاكيد، لكن حساسية الإبداع ومستوى المهارة وقابلية الإقناع وطاقة الحضور وكاريزما استلاب حواس الجمهور مرهونة كلها بما هو عفوي وأصيل وابتكاري لدى الفنان، ومدى فناء حول الخامات غير المشغولة لديه، وكون الأبار المجهولة المستقرة في أعماقه، وجينات الموهبة البكر الموجودة بذاته.

«الكاميرا الخفية» هي الأشهر والألصق بوجودان الجمهور في مسيرة نصر الفنية، لكن قدراته وملكاته كفنان بارع في السينما والمسرح والتلفزيون هي القيمة الأخصب في تجربته الزاخمة الممتدة لنصف قرن

يتجسد ذلك كله في الفنان إبراهيم نصر الذي رحل عن دنيانا قبل أسابيع في شهر رمضان، الشهر الذي ظل يقدم فيه برنامج التلفزيوني الأشهر "الكاميرا الخفية" على مدار سبعة عشر عاما، محققا نجاحا جماهيريا قياسيا في ذلك الوقت، ومطلقا في تسعينات القرن الماضي، قبل ظهور وسائل التواصل الاجتماعي، العشرات من "الترندات" التي حفظها الشارع المصري عن ظهر قلب، ومنها "قلبك قلب حسناية"، "يا نجاتي.. انفخ البالين"، "كشكتسها ما تعرضهاش"، الأمر الذي جعل برنامجها عنوانا وأيقونة لكل برامج المقالق التالية، وحفظ اسمه من الغياب عن ذاكرة الأجيال الجديدة من الشباب، وجاء نيا رحيله المفاجئ ليغتلي "الترند" أيضا، لكن في الوسائط والمنصات الإلكترونية هذه المرة، على الرغم من أنه لم يخاطب أيا من هذه العوالم الافتراضية بأعماله التي وجهها في الأساس إلى بشر حقيقيين، من البسطاء والعاديين.

جوهر المونولوج

ربما كانت "الكاميرا الخفية" هي الأشهر والألصق بوجودان الجمهور في مسيرة نصر الفنية، لكن قدراته وملكاته كفنان بارع في السينما والمسرح والتلفزيون هي القيمة الأخصب في تجربته الزاخمة الممتدة لنصف قرن. وحتى في حلقات الكاميرا الخفية ذاتها، فإن سر النجاح الحقيقي لم يكن "المقلب" بحد ذاته أو محاولة خداع الضيوف ومباغتتهم بموقف طريف مثير للسخرية،